

بدل الاشتراك عن سنة
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ عن العدد
الاصحاحات
يتفق عليها مع الإدارة

المجلة

مجلة الأسبوعية للادب والعلم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire

Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
أحمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ - طابدين - القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العدد ٤٦٩ « القاهرة في يوم الإثنين ١٥ جادى الآخرة سنة ١٣٦١ - الموافق ٢٩ يونية سنة ١٩٤٢ » السنة الماشرة

الحب الضائع (*) الأستاذ عباس محمود العقاد

تكلم سان ييف - إن صدقتى الدائرة - على أدب
المذكرات الخاصة الذى شاع بين القرن السابع عشر والقرن
الثامن عشر فى طائفة المثقفين والمثقفات من أهل فرنسا فقل
شيوع هذا الأدب بحج الظهور أو حب التحدث عن النفس
والعكوف عليها . وقال ما فواء : إننا نحن الفرنسيين نحب
أن يتحدث عنا الناس وأن نتحدث عن أنفسنا . فإن عمر علينا
ذلك فى المحافل والأندية خلونا إلى أنفسنا فكتبنا عنها فى مذكراتنا
الخاصة وجعلنا من سيرتنا موضوعاً يشغلنا كأننا أبطال المسرح
ونظارتنا فى وقت واحد . وهذا هو عنده - إن صدقتى الدائرة
مرة أخرى - تحليل أدب المذكرات الذى شاع قبيل عصره
بين الفرنسيين والفرنسيات

وصاحب هذا التحليل لم يوف السبب الصحيح كل التوفية
فيما نراه -

فإن للمذكرات الخاصة لم تشع بين الفرنسيين وخدم فى تلك
الفترة ، ولكنها شاعت كذلك بين الإنجليز وبدأت عندهم على
الأرجح قبل ابتدائها عند الفرنسيين . فأثرت عنهم اليوميات من
أوائل القرن السادس عشر إلى أيام الثورة الفرنسية ، وكانت لهم

(*) رواية جديدة للدكتور طه حسين بك

الفهرس

صفحة

- ٦٥٣ « الحب الضائع » ... : الأستاذ عباس محمود العقاد ...
٦٥٦ الحديث ذوشجون ... : الدكتور زكى مبارك ...
٦٥٩ التصور عند العرب ... : الدكتور محمد مصطفى ...
٦٦٢ شرعى بن أبى طالب ... : الأستاذ السيد يعقوب بى بكر
٦٦٥ كتب وشخصيات ... : الأستاذ سيد قطب ...
« عبقرة عمدة » لعماد ...
٦٦٨ عقليات الشعوب فى معادلات ... : الأستاذ على كمال ...
رياضية ...
٦٦٩ يا سواكى ... [قصيدة] : الأديب أحمد اسماعيل الملبجى
٦٧٠ الصفاء بين الأدباء ... : أحمد حسن الزيات ...
٦٧٠ أحزان توفيق الحكيم ... : الدكتور زكى مبارك ...
٦٧١ لوبيا والبلاد العربية ... : الأديب مصطفى بى الطرابلسى
٦٧٢ ألف مصطلح طهى بقرها ... :
المجمع القسوى ...
٦٧٢ (١) السناد فى الشعر ... :
٦٧٢ (٢) أبيات لول الدين يكن ... : الأستاذ محمود عزت حرفة ...

القيس بينها وبين الاعتراف الكاذب فرجعت إلى قيس صامت لا يعنمها أن تعترف بما تشاء ولو لم تكن فيه مدعاة اعتراف ، وهو الدفتر الذى تطويه عن الانتظار ومجد عنده مزيحاً من متعة البوح ومتعة الكتمان

هذا مزاج الاعتراف واتخاذ الدفاتر الخاصة مما قد مثل لنا على صورته الجليلة الصادقة في أطوار هذه الفتاة التى يحدثنا عنها مؤلف « الحب الضائع »

ولعلنا نلصق في هذه الحقيقة طابع الصدق الفنى والصدق الواقى الذى اتسمت به الرواية في سرد حوادثها ووصف نسلها ورجالها

تأخذ في قراءة هذه الرواية وتعبير منها صفحة بعد صفحة فلا يزال يرتفع في خلدك شعور بالسؤال : متى كنت هنا قبل الآن ! أو لا تزال تشعر كشعور الرجل الذى رأى وجهاً عرفه ولا يذكر أين رآه أول مرة ، أو كشعور الرجل الذى رأى مكاناً تحمله ووصف له وطن أنه نزل به يوماً ولا يذكر متى كان ذلك اليوم ثم تعرض مقروءاتك من بعيد وقريب فيترأى لك من بينها اسم « فرتر » الذى لا ينسأ طويلاً من عرفه بعض حين أى نعم هو « فرتر » بعينه ... هو فرتر بلا مرأى أفضى ذلك أن رواية الحب الضائع تشابه رواية فرتر في وقائمه ؟

أفضاه أنها تشابهها في سياقها أو أسلوب كتابتها أو طريقها في فن القصص أو مواقف الأبطال الموصوفين فيها ؟

كلا . لا تشابه من هذا القبيل بين الروائين ، وكل ما بينهما من التشابه أنهما يتحدثان لنا عن حب يائس انتهى بمرأتين صديقتين إلى الموت . وهذا في الحقيقة موضوع عام تشترك فيه روايات لا تحصى ، ثم لا تذكر واحدة منها بالأخرى إنما التشابه في جو الطيبة والوداعة الذى ينفث القارىء وهو يتقدم في قراءة الروائين

وليس هذا كل ما هنالك وكفى !

بل هي طيبة لا تشبه كل طيبة في لبائها ، لأنها طيبة جادة تعرف كيف تستلم وكيف تجمع وكيف تنطوى على نفسها وكيف تقبل الحياة بشرائطها هي لا بشرائط الحياة وهي كذلك طيبة لا تجسها من مصدر واحد في الرواية ، فلا تجسها من الزوجة وحدها ولا من الزوج وحده ولا من

فيها آفاق لا تنحصر في نوع واحد من أنواع الملاحظة والتدوين والأغلب في اعتقادنا أن كتابة المذكرات الخاصة عادة سرت إلى أبناء فرنسا وإنجلترا معاً من عادة الاعتراف التى دان بها التابعون للكنيسة الكاثوليكية زمناً في كلتا الأمتين . فكان إفشاء الكاتب بأسراره إلى دفتره المكنون ضرباً من الاعتراف بين يدي الكاهن بالخطايا والذنوب وخفايا النيات ، وأصبحت كتابة المذكرات هي باب الاعتراف الوحيد الذى ظل مفتوحاً لمن تحولوا عن الكنيسة الكاثوليكية وعدلوا عن الاعتراف بين أيدي الكهان

وربما أضيف إلى هذا السبب أسباب أخرى نفسية كجراح البوح والمكاشفة الذى يطبع عليه بعض الناس ، وأسباب أخرى سياسية واجتماعية كاضطراب الفتن واختلاف الماديات ، وصعوبة المفاتيح بالأسرار بين أناس متدابرين مستريين فيما يصر كل منهم من العقائد والميول

والدكتور طه حين قد جمع بين حسن الإلهام وحسن التعليل حين عرض لهذا الأمر في الصفحات الأولى من روايته الجديدة « الحب الضائع » فقص لنا قصة الفتاة التى انتقلت من الاعتراف للقيس إلى الاعتراف للدفتر وقال لنا بلسانها : « إنى لأفكر في هذا فأذكر مواقف ووقفها في عهد الطفولة ولا أزال أفضى إلى الآن وقد كدت أبلغ العشرين من العمر . وهي مواقف من القيس ... »

إلى أن تقول : « ... فأخترع الخطايا اختراعاً وألقها إلى القيس متكلفة غالية في التكلف . فيقبل القيس منى حيناً ويرفض حيناً آخر . حتى انتهى به الأمر ذات يوم إلى أن كلفنى أن أعترف له بكل ما أنفقت به نفسى من هذه الأكاذيب والأباطيل ونهينى إلى أن الكذب عليه كذب على الله ، وإلى أن هذه الخطيئة الساذجة في ظاهر الأمر قد تستحيل إلى خطيئة مهلكة لأنها تعودنى الكذب ، وتفربنى بالتكلف ، وتدفعنى إلى النفاق ، وتنشئ بينى وبين الآثام صلات قد تنتهى بي إلى الشر . فأقلت منذ ذلك اليوم عن انتحال الخطايا وتكلف الآثام للقيس ، ولكنى ألاحظ الآن أنى قد جلست إلى هذا الدفتر لأتحل الأحاديث وأتكلف الأسرار وما فى نفسى من حديث وما لضميرى من سر ... »

فها هنا طفلة أحببت الاعتراف لأنها أحببت أن تشبه بالفتيات الناميات ولو في انتحال الخطايا واختلاق الذنوب ، ثم حال

الصدقة التي خانت قتلت نفسها ولا من الأسرة التي فرقها الموت أو جمعها الشيخوخة والأسي

بل هي طيبة الجو كله ، وإن برزت فيه الحياة كما تبرز الشياطين في حظيرة الملائكة الملوين

وهي طيبة العلاقات والأواصر التي تخلق البيئة وتشمل من فيها ، فإذا هم كلهم طيبون يريدون ذلك أو لا يريدون

فتاة تزوج بخطيبها الذي اختاره لها أهلها وقد جمعهم الحرب في أعز الأبناء . ثم تحب هذا الزوج وتخلص له وترزق

منه صيباً يؤكد هذا الحب بينهما ، ثم تساق إلى الأسرة صديقة فنجت في قربها فيلقاها الزوجان بالخفاوة والمودة والمؤاساة،

ثم تنشأ بين الصديقة والزوج علاقة لم يحسبها لها حساباً ، وكان ينبغي أن يحسبها لها بعض الحساب ، فتهرب الصديقة من خطر

الحياة إلى مكان بعيد ، وتعالج المقامرة ما استطاعت حتى تعجز

عنها وعن الصبر فتعود ، ولكنها لا تطيق

مقام الحياة بين الزوجين فتحتال هي وعاشقها

على اللقاء في مزار معهود . ويكبر على ضمير

الرجل ثم الحياة فيسوغه بالفلسفة التي يراها

خيراً له من مصارحة نفسه بخيانة زوجة

تخيلين له ولا تفكر في غير الإخلاص ولو على

سبيل القصاص . أما الفلسفة التي اهتدى

إليها ، فهي القول بتعدد الزوجات واستطاعة

القلب أن يوفق بين حب اثنين في كثير من الأوقات ، أو كما قال

الدقتر الذي تكتبه الزوجة لنفسها ونعلم منه وقائع القصة مروية

بلسانها حيث تقول : « ... كنا نسمر في بيتنا كما تعودنا أن نفعل

مع جماعة من الأصدقاء الذين تعرفينهم ، وكنا نتجاذب الحوار في

موضوعات مختلفة كما تعودنا أن نفعل ، فأنتهينا إلى الحب وأنتهينا

إلى الوفاء ، وأفضنا في ذلك حتى عرضي مكسيم لمادة قراها بعض

الجماعات للتحضرة : عادة تعدد الزوجات ، وإذا مكسيم يذافع عن

هذه المادة دفاعاً حاراً وينود عنها ذيادة عتيقاً ، وأنا أسمع ذلك

ضاحكاً منه أول الأمر ، ثم منكراً للغلو فيه ، ثم دهشة لهذه الحماسة

التي يظهرها مكسيم ، ثم منبهة لما كان يرد به فيليب من ألفاظ

لا تخلو من تلميح وتعريض ، ثم تتفرق وقد وقر في نفسي من هذا

الحوار شيء لم يخل من تنقيص لما كان بيني وبين مكسيم من صفو... »

هرب الرجل من ألم الضمير إلى الفلسفة كما يفعل

الرجال في معظم الأحوال .

أما المرأة ، فقد هربت من ألم القلب إلى ملاذ آخر لعله أهون

عليها من فلسفة الرجال ، وهو الموت !

نعلم ذلك من الأسطر الأربعة التي هي كل ما نبأنا بها المؤلف

بلسانه بعد ختام الدقتر على نحو من الاقتضاب كأنما هو اقتضاب

القطع بالسكين ... » وأصبح الناس ذات يوم وقد قرءوا في صحف

الإقليم نبي سيدتين أهدت كل واحدة منهما نفسها إلى الموت ،

وجعل الناس في المدينة إذنا في بعضهم بعضاً يلحون بهذا النبأ

ويقول بعضهم لبعض : يا عجيباً ! كأنما كانتا على ميعاد ! »

هنا مظهر الطيبة القوية كلها أو مظهر القوة الطيبة كلها

فهنا صدمة طاغية تودي بحياتين ويوشك أن تودي بثالثة ،

أو هي قد أودت فعلاً بما هو مساك تلك الحياة وهو الاطمئنان

وسكينة الضمير

تمت هذه الخاتمة القاصمة دون أن تنفرج

الشفاه بكلمة واحدة تبعثراً لآلام الصدور في آذان

من يضمنهم الأمر ومن لا يضمنهم من الفضوليين

ولو كانت طيبة سخيفة لاستنفدت نفسها

في اللجاجة والثروة والقال والقليل في غير طائل

ولو كانت قوة تجلو من الطيبة لما خلت من

الإجرام والفضيحة والتنقيص الذي لا يطاق

ولكنها الطيبة التي قلنا إنها تعرف كيف

تستسلم وكيف تجمع ، وتعرف كيف تحب وكيف تموت . ومن

عجائب الدنيا أنه لا يعرف كيف يجب وكيف يموت إلا من هو أحق

الناس بالحياة

والسؤال الذي يخيل إلى أنني سامعه من كل لسان في هذا

الموقف هو : أفي العالم اليوم مثل هذا الحب ! وإن كان في العالم

أفي أوروبا ! وإن كان في أوروبا أفي الديار الفرنسية ؟

وهنا الكشف الذي يستحق أن نكتب من أجله الروايات

والمصنفات ، لا الرواية الواحدة ولا المصنف الواحد

فحب الزوات ما استغرق قط نفوس بني الإنسان في هذا

الزمان ولا في غير هذه الزوات

وفرنا ليست يبدع في ذلك بين أمم العالم الحديث . فليست

فرنسا كلها باريس ولا باريس كلها بأحياء السهر والمجون ، بل

هناك فرنسا أخرى كتب عنها الهارقون واختبرها الناقبون

أهماد الرسالة الخاصة

في سبيل الوحدة العربية والثقافة العربية ، تستصدر الرسالة عدداً خاصاً بكل قطر من أقطار العربية ، بنوه بفضلته وعرف بأهله . وستبدأ بسدد العراق . والمرجو من أدباء كل قطر أن يعاونوا الرسالة على أداء هذا الواجب بإرسال ما يستطيعون من الوثائق والفتايات والصور